

1430هـ/2009م

التدوين التاريخي في ألمانيا منذ عصر النهضة حتى أواخر القرن التاسع عشر

م.د. أياد علي ياسين*

تاريخ القبول: 2008/4/29

تاريخ التقديم: 2008/3/31

بدأ التدوين التاريخي الأوروبي مع ظهور أولى الحضارات البشرية، وهما حضارتا المايا والازتك التي تعد أولى الحضارات القديمة في أمريكا اللاتينية والتي ضمت المجتمعين المكسيكي واليوكاتي وكانت هذه الحضارة أكثر إنسانية مما حققته المجتمعات اللاحقة وقد امتازت مجتمعات هذه الحضارة في دراسة علم الفلك الذي حولّه الى الناحية العلمية في طريقة حساب التواريخ. ⁽¹⁾ فضلا عن حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل، إذ اخترع سكان وادي الرافدين القدماء ما يسمى بالخط المسماري Cuneiform، وفي حضارة وادي النيل الخط الهيروغليفي Hieroglyphic، وبدأ أول تدوين للتاريخ في تاريخ الإنسان، حيث ظهرت المدونات التاريخية الماضية والمعاصرة للأحداث في عصر مبكر في تاريخ هاتين الحضارتين. ⁽²⁾

كما كان للحضارتين الأوربيتين الإغريقية والرومانية دور في البناء الحضاري أيضا والتي كانت لهما أكبر أثر في قيادة الحضارات الأوروبية حتى الوقت الحاضر. ⁽³⁾

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(1) ارنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج 1، ط2، ترجمة فؤاد محمد شبل ومحمد شفيق غريال، دار الثقافة (القاهرة، 1966)، ص57.

(2) طه باقر، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، ط 1، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (بغداد، 1980).

(3) يوسف الحوراني، الإنسان والحضارة، ط1، المكتبة العصرية (بيروت، 1973)، ص61.

وقد شهدت المدن الإيطالية في أواخر العصور الوسطى بزوغ نهضة شاملة في جميع الميادين الأدبية والفنية والعلمية والاجتماعية لم يشهدها العالم منذ قيام الحضارة الكلاسيكية في أثينا⁽¹⁾. ولعصر النهضة هذه ميزات وخصائص⁽²⁾، جعلت المؤرخين والباحثين يعطونها طابعاً مميزاً ويصنفونها على انها حقبة تاريخية لها شيء من الاستقلال عما سبقها ولحقها، بالرغم من التصاقها بالعصور الحديثة إلى حد كبير⁽³⁾. ويستند دعاء هذا الرأي على الخصائص والسمات التي تميز بها عصر النهضة، إلا أن الأدلة العلمية تدفع معظم المؤرخين إلى الاعتقاد بوجود تفاعل وصراع في الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة كان أساسه عصر النهضة والانبعث Renaissance⁽⁴⁾.

والواقع أنه لا يوجد انقطاع بين العصور الحديثة والعصور الوسطى، وإن هذا التقسيم ما هو إلا نوع من أنواع الاصطناع لتسهيل دراسة التاريخ الأوربي⁽⁵⁾. والتاريخ ما هو إلا سلسلة من الحلقات المتواصلة التي يكمل بعضها بعضاً. وإن النهضة التي تمت في حدود القرن الخامس عشر الميلادي ليست في منطلقها سوى عود على القديم والثقافة إلى الماضي⁽⁶⁾.

(1) محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوربي، ط 1، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1983)، ص 65.

(2) وقد تميزت النهضة الحديثة بعدة خصائص منها أنها كانت علمانية، أي لم تنشأ في رحاب الكنيسة ولم تخضع لتوجيهاتها. كما امتازت بنمو الشعور القومي وحرية الرأي والتعبير للفرد، فضلاً عن أنها لم تظهر في جميع البلاد الأوربية في وقت واحد. للتفاصيل انظر: الشناوي، المصدر السابق، ص 27-28.

(3) حسين محمد سليمان، المدخل الى دراسة علم التاريخ، دار الإصلاح للطباعة (الدمام، 1984)، ص 177.

(4) محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوربا الحديث، طبع في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (بغداد، 1989)، ص 11.

(5) عبد الواحد دنون طه، أصول البحث التاريخي، دار المنار الإسلامية، (بنغازي، 2004)، ص 101.

(6) نور الدين حاطوم وآخرون، المدخل الى التاريخ، مطبعة الإنشاء، (دمشق، 1964)، ص 437.

1430هـ/2009م

هكذا حرص مؤرخو النهضة الأوربية على صبغة التاريخ بالصبغة الزمنية⁽¹⁾، نتيجة لتقدم نظم الدولة، وتعدّد العلاقات بين الدول، واحتياج كل دولة إلى كتابة تاريخها، وقد بدأت هذه النهضة في دويلات المدن الإيطالية مثل البندقية وجنوا وغيرهما اللتين عدتا أوليا المدنية الجديدة، نتيجة للتطور الاقتصادي الكبير الذي حققته هذه المدن، ومن خلالها انتشر التدوين التاريخي الذي تميز بأسلوبه الجديد إلى بقية دول أوروبا.⁽²⁾

يرجع الفضل للتدوين التاريخي في ألمانيا خلال عصر النهضة، إلى نزوح بعض الطلاب الألمان في غضون القرن الخامس عشر إلى روما التي تعد أولى المدن الإيطالية حيث كانت معاهد العلم فيها تزخر بالطلاب والعلماء، وكان من أوائل من رحل إليها من الطلبة الألمان يوحنا مولر (Johann Muller 1436-1476م)، وهو أول من طبق روح النهضة في ألمانيا.⁽³⁾

وممن اشتهروا أيضا في عصر النهضة الألماني جوهان روجلين (Johann Reuchlin 1455-1522م)، الذي تعلّم اللغة الإغريقية القديمة في باريس وروما، وصمّم على إتقان العبرية، بوصفها مفتاح العهد القديم. ومن هنا نشأ ارتباط قوى بين الحركة الإنسانية⁽⁴⁾ ودراسة الكتاب المقدس دراسة علمية

(1) حكمت أبو زيد، التاريخ تعليمه وتعلمه حتى نهاية القرن التاسع عشر، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، 1961)، ص34.

(2) طه، المصدر السابق، ص 102.

(3) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ط 5، دار الكتاب الجامعي (القاهرة، 1995)، ص 35.

(4) ارتبطت الحركة الإنسانية بأحياء التراث وقد أطلق اسم الإنسانيين على هذه الحركة، لان مفكري عصر النهضة انطلقوا من منطلق جديد وهو الاعتزاز بالإنسان والتأكيد على الاعتداد بالنفس والثقة بصورته وأهميته ودوره الكبير في الحياة. فكانت صورة الإنسان عندهم تمثل القوة والإيمان بالذات والثقة بالنفس. انظر 4: محمد مظفر الادهمي، تاريخ أوروبا الحديث، طبع على نفقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (بغداد، 1989)، ص20.

سليمة مما أدى إلى تفهم العقيدة المسيحية تفهما صحيحا.⁽⁵⁾

انتقل تدوين التاريخ أثر هذا التطور من رجال الدين إلى العلمانيين، حيث اهتموا بالثقافة وتحرروا من قيود الكنيسة، وتولوا كتابة التاريخ خاصة والثقافة عامة بدلا من رجال الدين، وقد صاحب ذلك تطور اللغات القومية التي أخذت تفرض نفسها على ثقافة عصر النهضة منها اللغة الألمانية التي بلغت كمالها مع مارتين لوثر Martin Luther (1483-1546م)، كما جرت حملة شعواء على أفكار العصور الوسطى ورجاله.⁽²⁾

وجد المؤرخون في النهضة فائدة كبرى لأبحاثهم، واخذ عدد من الإنسانيين على عاتقهم دراسة التاريخ بصورة جديدة. تعتمد على البحث عن النصوص القديمة وتمحيصها على اختلاف أنواعها، وعلى نمو روح النقد وطلب المعرفة والبحث الحر وتحكيم العقل والمنطق الصحيح في المادة التاريخية. وقد نادوا بأن التاريخ هو نتيجة للعمل الإنساني وأن مجاله هو السياسة والحروب.⁽³⁾ لكن من جهة أخرى، ظهرت في كتابات الإنسانيين نزعة وطنية، ولاسيما بالنسبة إلى المدن والبلاد التي كان ينتسب إليها كل واحد منهم، مما أدى إلى زيادة الاهتمام بإحصاء الحقائق والبحث في أوراق السجلات، وقد اعتمدت بعض الأسر الحاكمة في أوروبا على بعض المؤرخين لغرض القيام بوظيفة تدوين التاريخ، وإن كانت غير صحيحة، وعمل على تأليف الكتب التي تخدم أغراضهم وإن كانت سياسية أو دينية، وتشيد بعظماؤها وتوضح نظمها الدستورية والقضائية.⁽⁴⁾

عدت الاتجاهات التي طرأت على الكتابة التاريخية في عصر النهضة، أهم ما يميز هذا العصر، فقد نبذت كل ما كانت الكنيسة تفرضه على العقول

(5) عبد الرحيم، المصدر السابق، ص 35.

(1) سليمان، المصدر السابق، ص 178؛ مخزوم، المصدر السابق، ص 69.

(2) أحمد حسين اللقائي، اتجاهات في تدريس التاريخ، ط 1، دار عالم الكتب (القاهرة، 1979)، ص 12.

(3) طه، المصدر السابق، 103؛ أبو زيد، المصدر السابق، 35؛ جوزيف هورس، قيمة التاريخ، ترجمة الشيخ نسيب وهيبة الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، 1964)، 38.

1430هـ/2009م

والأقلام والكتابات وتحليل المراجع الأصلية ورفض ما لا يقرّه العقل منها. ⁽¹⁾ وقد تتوضح هذه في كتابات المؤرخ الألماني بيتس رينانوس Bets Renanoce (1486-1547م)، الذي استخدم في بحث مصادر التاريخ التيوتوني القديم نفس قواعد التفسير الناقد التي طبقها زميله ديديه ارزمس ⁽²⁾ Didie Erasmes (1466-1536م) ⁽³⁾، في دراسة نصوص العهد الجديد وسجلات الكنيسة. ⁽⁴⁾

وما ظهر في المانيا بعد ذلك من دراسات إنسانية إنما كان لخدمة الغرض الديني، إذ اتخذها دعاة الإصلاح الديني وسيلة لبث آرائهم الدينية الجديدة التي تتعارض ومفاهيم رجال الدين التقليدية. ⁽⁵⁾ ومنذ ذلك الحين بدأت الجامعات تنتشر وبدأت الدراسات العلمية تزدهر. ⁽⁶⁾ حيث كان لورنزو فالّا Lorenzo Valla (1404-1457م)، أبرز المؤرخين الإيطاليين الذين تبنا دراسة التاريخ على التحليل والنقد والاستقراء والاستنتاج حتى أنه درس نظم الكنيسة والعقيدة المسيحية وأسس السلطة البابوية. ⁽⁷⁾ وبهذه الآراء التي نادى بها، فقد مهد إلى قيام حركة الإصلاح الديني في المانيا في أوائل القرن السادس عشر، والتي تزعمها المصلح

(1) رجائي ريان، مدخل لدراسة التاريخ، دار ابن رشد (عمان، 1986)، ص 105.
 (2) راهب كاثوليكي وأستاذ في العلوم الإنسانية. ولد في مدينة روتردام الهولندية، وقضى سنوات طويلة في أحد الأديرة، وكان من كبار رجال النهضة، حيث قضى سنوات عدة في المانيا، وقد درس نتائج الإنسانيين الألمان والكتابات القديمة. عبد الفتاح حسن أبو عليّة وإسماعيل ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ (الرياض، 1979)، ص 90؛ علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، دار واسط (بغداد، 1990)، ص 71.

(3) ول. ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي محمود وعبد الحميد يونس، ج 23 (دم)، (1981)، ص 152؛ ف. جي. سي. هرنشو، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (مصر، 1937)، ص 78.

(4) هرنشو، المصدر السابق، 78.

(5) مخزوم، المصدر السابق، ص 77.

(6) عبد الرحيم، المصدر السابق، ص 35.

(7) حاطوم، المصدر السابق، 439؛ الأدهمي، المصدر السابق، 24.

التدوين التاريخي في المانيا منذ عصر النهضة حتى أواخر القرن التاسع عشر م. د. أياد علي ياسين

الديني مارتن لوتر، الذي تحدّى البابوية، لما كان لها من سيطرة على حياة الناس وعقولهم لفترة طويلة من الزمن، وكشف الحقيقة عن كثير من أغلاطهم كإهمال الروح والفكر الحر والعقل ونشر الخرافة، وقد دعا هذا المفكر الإنساني إلى وضع أسس عقلانية، وترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية وعدّه القانون الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير العقائد دون رجال الدين.⁽¹⁾

ومن هنا كان لحركة الإصلاح الديني أثارها العميقة في الدراسات الفلسفية عامة والتاريخ بوجه خاص، وقد تأثر تدوين التاريخ بهذه الحركة لما صاحبها من حروب ومجادلات بين الفرق المتخاصمة التي احتاجت إلى حجج وبراهين تاريخية لإثبات وجهات نظرها، فزاد الاهتمام بالبحث التاريخي، لكنه لم يكن بحثاً نزيهاً لأنه وضع لغرض الدعاية المذهبية لا للتوصل إلى الحقيقة التاريخية العلمية.⁽²⁾

كذلك أدى تصادم الدعايتين المتنافستين الكاثوليكية والبروتستانتية إلى نبش أكناس التاريخ الكنسي فجاءت الحقيقة غير مباشرة لهذا التصادم.⁽³⁾ وأصبحت جميع الوثائق التي تم استخراجها خلال ذلك الصراع مصادر أولية مهمة استخدمت فيما بعد لدراسة التاريخ الحديث القائم على الوضوح والتعقل.⁽⁴⁾ فضلاً عن أن حصيلة هذا الصراع أدّت إلى ظهور العديد من الكتب والأبحاث ونشر العشرات من الوثائق، فكتب المؤرخ الألماني ماتياس فلاكسيوس Matthias Flacius (1520-1575م)، كتاب "قرون مجد برج"، تناول الكلام على الكنيسة كما صورتها أعمال الرسل للنظام والعقيدة، وقد طبع لأول مرة بمدينة بال السويسرية "تاريخ الكنيسة النصرانية" وفيه يصور تاريخ الكنيسة منذ

(1) مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ط 1، ج 2، دار أسامة (عمان، 2004)، ص 423؛ سليمان، تاريخ الحضارة الأوربي الحديثة... ص 71؛ سليمان، المدخل إلى دراسة علم التاريخ..... ص 180.

(2) هرنشو، المصدر السابق، ص 84؛ طه، المصدر السابق، ص 104.

(3) هرنشو، المصدر السابق، ص 84-85؛ ريان، المصدر السابق، ص 106.

(4) طه، المصدر السابق، ص 104.

1430هـ/2009م

تأسيسها وحتى عام 1400م.⁽¹⁾

ومع تطور الإصلاح الديني، فقد أحرز رجال الصناعة والتجارة بصفة عامة أول انتصار لهم في صراعهم الخفي مع الطبقات الإقطاعية، لفرض نفوذهم وكسب السيطرة والسمعة بين الناس، وحتى لا يخرجوا رأوا أن انضمامهم للمذهب البروتستانتي يبعد عنهم الشبهة، وبذلك اعتنقت البرجوازية هذا المذهب، وقد كشف هؤلاء المؤرخون جوانب مجهولة في تاريخ المسيحية، وكان لظهور المواقف الفكرية العقلانية الواقعية مجالاً لنمو ملكية النقد عند المؤرخين الألمان، وزيادة الاهتمام في تدوين التاريخ بالقضايا الإنسانية والشؤون السياسية.⁽²⁾ وقد اعتبر لوثر هؤلاء المؤرخين "أعظم الناس فائدة وأعمق المدرسين أثراً".⁽³⁾

وبحلول القرنين السادس عشر والسابع عشر شهدت بواعث أخرى عدا اللاهوت شجعت على دراسة التاريخ في أوروبا منها⁽⁴⁾، الاستكشافات الجغرافية ورحلات الاستطلاع التي استلزمت التدوين خلال مراحلها لتضيف هذه المدونات خبرة لمن يستمر في هذا المضمار.⁽⁵⁾ وكان التبشير بالنصرانية من الحوافز المهمة وراء هذه الحركة، ثم الاستعمار ودخلت دول عديدة في هذه الحلبة، وأدى ذلك إلى احتكاك حضاري هياً للمؤرخين مادة دسمة كان أهمها دراسة تاريخ هذه الأقطار والشعوب.⁽⁶⁾ ولم تقتصر الدراسة على الجوانب

السياسية والحروب، بل اتجهت أبحاثهم في دراسة العادات والآداب

(1) حاطوم، المصدر السابق، ص 441؛ ريان، المصدر السابق، ص 108.

(2) اللقائي، المصدر السابق، ص 12؛ سليمان، المدخل إلى دراسة علم التاريخ.....ص 180.

(3) هنري جونسون، تدريس التاريخ، ترجمة أبو الفتوح رضوان، دار النهضة العربية (القاهرة، 1965)، ص 23.

(4) هرنشو، المصدر السابق، ص 89.

(5) سليمان، المدخل إلى دراسة علم التاريخ.....ص 183.

(6) حاطوم وآخرون، المصدر السابق، 442؛ ريان، المصدر السابق، ص 109.

والأخلاق والنظم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.⁽¹⁾

وبهذا فإن أحداث التوسع الأوربي وأثاره الاقتصادية والسياسية، كانت لها أثر على تاريخ أوروبا وخاصة في المجال السياسي، فاتجه البحث التاريخي والتتقيب عن أصول الأسر الحاكمة في أوروبا، حيث تميزت هذه الحقبة التاريخية بظهور الملكيات المطلقة، فظهرت في المانيا أسرة الـ هابسبرج Hapsburg، والتي وضعت الدولة بؤادر اهتمام تدوين التاريخ في خدمة هذه الأسرة بدلا من الكنيسة، ويشار هنا إلى المؤرخ والفيلسوف المشهور وليم لينتز William Lents (1646-1716م)، الذي أرّخ لأسرة ويلف Welf في هانوفر Hanover وهو أحد اثنين من المؤرخين الألمان البروتستانت اللذين اهتمتا بالوثائق. أما المؤرخ الثاني هو هيرمان كونرنك Herman Konrinc (1606-1681م)، الذي عرف ببراعته في النقد التاريخي، كما اشتهر بقدراته المتعددة في العلوم واللغات واللاهوت واستخدامهما لإبراز الأساس التاريخي في السياسة والقانون، ولقد اشتهرت دراسته للقانون الروماني والقانون المحلي في المانيا.⁽²⁾

إن البواعث الأخرى التي أسهمت في نشاط المؤرخين الألمان في البحث التاريخي، هي قيام الحركات القومية في أوروبا. وقد بحث كل فريق منهم في الوثائق الرسمية القديمة والقوانين السابقة والتقاليد الماضية التي يمكن أن تخدم مطالبهم.⁽³⁾ هذا فضلا عن دور الطباعة والنشر التي أسهمت أيضا في دفع التدوين التاريخي بطريقته الجديدة قدماً إلى الأمام، وظهرت الآراء التقدمية العلمية في دراسة التاريخ بعيدا عن الصراع بين الخصوم بإسلوب منطقي هادئ.⁽⁴⁾

ومع بداية القرن الثامن عشر بدأ ما يسمى في أوروبا بحركة الاستنارة أو الاحتكام إلى العقل، وقد اتجه المؤرخون في هذا القرن إلى كتابة التاريخ من

(1) ليلي الصباغ، في منهجية التاريخ (دمشق، 1980)، ص 60؛ سليمان، المدخل الى دراسة علم التاريخ.... ص 189.

(2) هاشم يحيى الملاح وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل، 1988)، 35.

(3) هرنشو، المصدر السابق، ص 92؛ سليمان، المدخل الى دراسة علم التاريخ..... ص 184؛ ريان، المصدر السابق، ص 110.

(4) سليمان، المصدر السابق، ص 185.

1430هـ/2009م

وجهة نظر المحكومين، فعبروا عن آراء الطبقات المنتجة، خاصة وإن حركة الاحتكام إلى العقل قامت على أكتاف مجموعة من الفلاسفة والكتّاب الدينيين ورجال الفكر الحر في المانيا، وقد قامت أساساً لمقاومة النظم الاستبدادية الفكرية والاجتماعية البالية المتخلفة. لذلك لم يهتموا بالواقع السياسي فقط، بل اهتموا أيضاً بتطور العلوم والفنون والصناعة.⁽¹⁾

كان جاكوب ماسكو Jacob Masco (1689-1761م)، أول مؤرخ في عصر الاستنارة في المانيا، وكتابه "تاريخ المانيا القديم" الذي ينتهي في عهد الإمبراطورية الميروفنجية، يعتمد أساساً على الآثار والوثائق المعاصرة لكل عهد. ويعد هذا الكتاب جهداً غير منحاز من أجل الوصول إلى الحقيقة بشأن الحياة والحروب والعادات والنظم والأساليب الألمانية. ونظراً لأن تدهور الثقافة الألمانية كان أبرز سمة في المانيا المجزأة التي مزقتها لفترة من الزمن كثرة الحروب الدينية، فإن ظهور هذا الكتاب باللغة الألمانية له مغزاه في الاتجاه الجديد لمسيرة الثقافة في المانيا. وخلال القرن الثامن عشر كرّس ماسكو جهوده على الصعيدين الأكاديمي والثقافي من أجل إغناء وتقويم اللغة الألمانية لتصبح كالفرنسية قادرة على احتواء ثقافة العصر وأداء رسالة البعث القومي في المانيا الحديثة.⁽²⁾

وفي الربع الأخير من القرن الثامن عشر بدأت اهتمامات المؤرخين الألمان تتزايد نحو دراسة العوامل والمؤثرات الاقتصادية في حركة وتطور تدوين التاريخ.⁽³⁾ وقد كتب المؤرخ جستس ماورز Jesits Mowers (1720-1794م)، كتاباً سماه "تاريخ اوزنا بروك" الذي عدّ تاريخاً للثقافة دون السياسة، حيث أكدّ على المؤسسات وتابع فيه الرابطة الأساسية بين التنظيم الاقتصادي والمؤسسات السياسية. ولعل من أبرز ما تميز به هذا المؤرخ في تاريخه "الدوقية

(1) اللقائي، المصدر السابق، ص 13.

(2) الملاح وآخرون، المصدر السابق، ص ص 42-43.

(3) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ط 1، دار المعرف (مصر، 1970)، ص 60؛ سليمان، المدخل الى دراسة علم التاريخ.....ص 186.

التدوين التاريخي في المانيا منذ عصر النهضة حتى أواخر القرن التاسع عشر م. د. أياد علي ياسين

إوزنا بروك" أنه لم يكتبه من وجهة نظر دوقية صغيرة وإنما من وجهة نظر المانيا جميعاً. وقد استخدم "ماورز" المصادر الأولية وبخاصة الوثائق جزءاً متمماً لبنائه التاريخي ومعالجته التاريخ وليس أدلة إثبات لآرائه. كما أنه أسقط من الحساب التاريخ الوصفي مؤكداً على أهمية العناصر الاقتصادية والفنية والتقنية في المجتمع. وتميز منهجه التاريخي باستخدام التفكير المعاكس المعتمد على الشواهد الحضارية لتقويم الماضي.⁽¹⁾ كما امتاز المؤرخ الألماني أرنولد هيرن Arnold Herein (1760-1842م)، بدراسة التاريخ القديم دراسة قائمة على معرفة الأحوال الاقتصادية وبذلك يعتبر من السابقين إلى القول بـ "التفسير الاقتصادي للتاريخ".⁽²⁾

ومما يقال عن التدوين التاريخي في أواخر القرن الثامن عشر ما أثّرته أحداث الثورة الفرنسية عام 1789م في المؤرخين وفلسفة التاريخ، وقد ظهر جماعة من الباحثين الألمان الذين ألفوا في هذا الموضوع، وكان من أشهرهم المؤرخ جوهان هردير Johan Herder (1744-1803م)⁽³⁾، الذي كان معاصراً لجان جاك روسو Jan Jack Rousseau في فرنسا واطلق عليه اسم روسو الألمان، واشتهر بكتابه "تأملات في فلسفة تاريخ الإنسانية" والذي كتب في ثلاثة مجلدات، ونشر ما بين عامي 1799-1874م.⁽⁴⁾

عندما انتهت الاضطرابات التي أحدثتها الثورة الفرنسية وحروب نابليون في سيرة التاريخ الأوروبي بشيء من الاستقرار السياسي المشوب بالقلق، من بعد مؤتمر فيينا عام 1815م، فقد حدثت ردود فعل على مبادئ الثورة الفرنسية وفلسفتها، وظهرت بحوث في هذا الموضوع، وكان أشهرها تاريخ جوهان فخته J. G. Fichte الألماني (1762-1814م)،⁽⁵⁾ الذي ألف كتابه الموسوم "نظرات في الثورة الفرنسية"، ويعد فخته من أوائل المؤرخين الألمان الذين كرسوا جهودهم

(1) الملاح وآخرون، المصدر السابق، ص 43.

(2) هرنشو، المصدر السابق، ص 99.

(3) باقر، المصدر السابق، ص 45.

(4) ريان، المصدر السابق، ص 115.

(5) باقر، المصدر السابق، ص 45.

1430هـ/2009م

للقضاء على النفوذ الفكري الفرنسي في المانيا.⁽¹⁾

وعلى الرغم من مبادئ هذه الثورة، فقد ازداد اهتمام الألمان في البحث عن ماضيهم لاسيما ما يتعلق منها بالتاريخ القومي وعظمته، فأعطوا نماذج المؤلفات التاريخية المبنية على دراسة النصوص دراسة نقدية، وتأثرت الدراسات التاريخية بالحركة الإبداعية في الأدب التي قامت بثورتها العنيفة على عقلانية القرن الثامن عشر، وراحت تطالب بإقامة مجتمع إنساني على أسس جديدة قائمة على التقاليد والنعرات القومية والإخلاص للدين، وإرجاع جذور ذلك التاريخ إلى العصور الوسطى.⁽²⁾

ومن هؤلاء المفكرين والكتّاب الألمان برز فخته بوصفه واحداً من أبرزهم في تأكيده على الروح القومية الألمانية، لاسيما من خلال كتابه المعروف،⁽³⁾ "خطابات إلى الأمة الألمانية".⁽⁴⁾ هذا إلى جانب دعوته في كتابه "الدولة التجارية المقفلة" إلى اكتفاء الشعب أو المجتمع اكتفاءً ذاتياً. كما شجب الاختلاط بين الشعوب الذي بدوره يؤدي . حسب رأيه . إلى إفساد وتدهور آداب الشعب وأخلاقه وكتابات هذه أدت إلى ظهور النزعة النازية فيما بعد.⁽⁵⁾ كذلك أنتجت مؤلفات كثيرة تستند إلى بحوث تفصيلية ودراسات عميقة، وظهر عدة فلسفات للتاريخ مثال ذلك فلسفة هيجل (Hegel 1770-1831م)، المثالية التي تؤكد أن التطور البشري يجري بصورة حتمية، ويؤدي إلى الانتقال تدريجياً من عصور الاستبداد إلى دور الحرية.⁽⁶⁾ ثم جاء المؤرخ والكتّاب السياسي ليفي . تريتشكا Livy Treitschke (1834-1896م)، فوضع كتاباً مطولاً في تاريخ المانيا في القرن

(1) سليمان، المدخل الى دراسة علم التاريخ....ص 187.

(2) حاطوم وآخرون، المصدر السابق، ص ص 450-451.

(3) الملاح وآخرون، المصدر السابق، ص 110.

(4) بوتول جاستون، تاريخ علم الاجتماع، ترجمة غنيم عبدون، دار القومية للطباعة والنشر (القاهرة، د. ت)، ص 56.

(5) الملاح وآخرون، المصدر السابق، ص 110.

(6) طه، المصدر السابق، ص ص 107-108.

التدوين التاريخي في المانيا منذ عصر النهضة حتى أواخر القرن التاسع عشر م.د.أياد علي ياسين

التاسع عشر بحث فيه إلى عام 1847م. وقد اشتهر في تاريخه بنزعتة الوطنية والقومية أيضا.⁽¹⁾

وبهذا فقد تتابعت حلقات التدوين التاريخ في المانيا في القرن الثامن عشر، فتناولت الفن والأدب والفيلولوجيا (فقه اللغة) بأبعادها التاريخية والاجتماعية على يد مجموعة من المؤرخين المتنورين منهم، ويتكلمان Witkman (1717-1768م)، وهاین Heyn (1729-1812م) وغيرهم.⁽²⁾

إنّ روح حركة الاستنارة التي بدأت في القرن الثامن عشر، امتدت جذورها إلى القرن التاسع عشر، ولكن بصورة أكثر تطوراً نحو الأسس العلمية لكتابة التاريخ، إن تلك الروح وهذه الجذور أነعت في المانيا بظهور المدرسة التاريخية الألمانية التي يعد مؤرخوها أساتذة مدرسة النقد والتحليل أو ما يعرف بـ "المذهب الحديث" في النقد التاريخي، لذلك يمكن أن تعد المانيا من بواكير كتاب التاريخ الحديث، حيث لم يعد التاريخ فنا من الفنون أو فرعاً من فروع الأدب، بل أصبح يعني تتابع الحوادث السببية في شكل مطرد من التغيرات، الأمر الذي جعل للتاريخ طابعاً مميزاً وهو التتابع، وجعل من الممكن تفسير تطور المدنية منذ المرحلة المبكرة حتى العصور الحاضرة بربطها بعملية التاريخ نفسها.⁽³⁾

كما أدّت التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي حدثت في أوروبا خلال هذا القرن، إلى تطور في طريقة البحث نفسه، وإلى تغيير مدلول التاريخ، كما عملت على فتح آفاق جديدة أمام الباحثين الألمان. وقد اختلفت طريقة المؤرخين في تناول المادة التاريخية في هذا القرن عن القرون السابقة، فلقد كان من أثر قيام مذهب النقد التاريخي تأكيد الجانب الموضوعي في بناء الأمة التاريخية، وهو يقضي بضرورة الاعتماد على المصادر الأصلية لاستخراج المعلومات وللبحث عن الحقائق وتحري كنهها، ومراعاة ظروف العصر الذي كانت تعيش فيه الشخصيات التاريخية والأحداث الماضية، وهذا اتجاه يخالف تماماً اتجاه العصور السابقة حتى عصر الاستنارة أو الاحتكام إلى العقل الذي

(1) هرنشو، المصدر السابق، ص 35.

(2) الملاح وآخرون، المصدر السابق، ص 43.

(3) ريان، المصدر السابق، ص 113.

1430هـ/2009م

سبقت الإشارة إليه، والذي استمر طوال القرن الثامن عشر.⁽¹⁾

مما تميز في هذا القرن أيضا ظهور علم الإحصاء الذي بدأ بالتطور في القرن التاسع عشر، وقد كان له أثر كبير في تشجيع الفكرة التي تنادي بجعل التاريخ علماً يعتمد على الأرقام والقوانين الرياضية، وهذه العوامل مجتمعة أدت إلى ظهور فكرة جديدة ترمي إلى إخضاع التاريخ لقوانين عامة سواءً على المؤرخ أن يكتشف النظام السائد في عملية التاريخ حتى يتمكن من الوصول إلى قوانين عامة. ولكي يتحقق هذا الأمر كان لابد للباحث من العودة إلى مخلفات الماضي من آثار وعاديات، ومن وثائق تداولتها الأجيال المتعاقبة، سواءً ما حفظ منها بطريقة الرموز والصور أو بطريقة الكتابة والتي تعد أرقى أنواع التعبير.⁽²⁾

ولكي نوضح مدى تأثر المؤرخين الألمان في القرن التاسع عشر بروح البحث الحديث هذا نورد أبرزهم، فون اشتاين Von Schtein السياسي والوطني البروسي في المانيا، الذي بدأ نضاله في سبيل تجديد دولة بروسيا، أسس "جمعية دراسات التاريخ الألماني" وهي جمعية اعتزمت أن تجمع وتحرر وتنتشر سلسلة عظيمة تاريخية تتصل بتاريخ المانيا في العصور الوسطى وتعرف بـ "أصول التاريخ الألماني القديم" وقد رسمت خطة هذا المشروع على أن يتألف من خمس مجموعات كل منها قائم بذاته، وتلك المجموعات هي الكتاب والقوانين والمراسيم الإمبراطورية والرسائل والمتفرقات. وقد نشرت أعداد كبيرة منها على شكل مجلدات في فترات متلاحقة.⁽³⁾ أما المؤرخ فردريك ولف F.A. Wolf (1759-1828م)، فيعد رائد المدرسة الألمانية التاريخية، لان قيام المذهب الحديث في النقد يؤرخ من نشر ولف "مقدمة هوميروس" في عام 1795م.⁽⁴⁾ ولم تكن هذه المقدمة بطبيعة الحال بحثاً تاريخياً بالمعنى الصحيح، وإنما كانت بحثاً أدبياً لغوياً، ترجع أهميتها إلى ان الملحمتين "الإلياذة والأوديسة" لم يكتبهما هوميروس أو رجل آخر سمي بهذا الاسم، ولكن تنابعت على نظمها جماعة من الشعراء في

(1) ريان، المصدر السابق، ص 114.

(2) هرنشو، المصدر السابق، ص ص 51-52.

(3) حاطوم وآخرون، المصدر السابق، ص 451-452.

(4) ريان، المصدر السابق، ص 114.

التدوين التاريخي في المانيا منذ عصر النهضة حتى أواخر القرن التاسع عشر م.د.أياد علي ياسين

فترات متباعدة من الزمن.⁽¹⁾

إن قيمة هذه المقدمة التاريخية تأتي من أنها برهنت على ان من الممكن الحصول على كثير من المعلومات الهامة من دراسة الوثائق القديمة دراسة واعية.⁽²⁾

ومن هؤلاء المؤرخين الألمان أيضا المؤرخ نيبور B. G. Niebur (1776-1831م)، الذي كان سياسيا أيضا، فقد درس نصوص المؤرخ الروماني تيت-ليف Te - Lef، وغيرها من المصادر الأسطورية للجمهورية الرومانية⁽³⁾، فاثبت أن هذا التاريخ بعيد كل البعد عن الحقيقة، واستطاع أن يفصل الأساطير فصلا واضحا ودقيقا من الواقع التاريخي.⁽⁴⁾ وقد ألف كتابه الشهير "تاريخ الرومان" ونهج به نهجا علميا مبتكراً أحيا به التاريخ الروماني.⁽⁵⁾ حيث حاول ربط الأحداث الفردية بالنظم السياسية والاجتماعية لروما القديمة من جديد بعبارات يستطيع القارئ العصري فهمها، فكان بذلك من المؤرخين القلائل الذين رفعوا التاريخ الروماني خاصة والبحث التاريخي عامة.⁽⁶⁾ وعلى حد تعبير جوتش جوتش فقد تمكن نيبور من رفع التاريخ نفسه إلى منزلة "علم مستقل من الطراز الأول".⁽⁷⁾

كما امتازت حركة التدوين التاريخي في المانيا في هذا القرن أيضا بظهور النزعة العلمية في التدوين بزعامة ليوبولد فون رانكه Leopold Von Ranke (1795-1889م)⁽⁸⁾، الذي يقول عنه جوتش "أنه زعيم المؤرخين في العصور

(1) هرنشو، المصدر السابق، ص 121؛ حاطوم وآخرون، المصدر السابق، ص 458؛ ريان، المصدر السابق، ص ص 114-115.

(2) هرنشو، المصدر السابق، ص 177؛ حاطوم وآخرون، المصدر السابق، ص 458.

(3) حاطوم وآخرون، المصدر السابق، ص 452؛ ارنست كاسيرر، في المعرفة التاريخية، ترجمة احمد حمدي محمود، دار النهضة (القاهرة، د.ت)، ص 13.

(4) ريان، المصدر السابق، ص 115.

(5) حاطوم وآخرون، المصدر السابق، ص 452.

(6) ريان، المصدر السابق، ص ص 115-116.

(7) هرنشو، المصدر السابق، ص 117.

(8) طه، المصدر السابق، ص 108.

1430هـ/2009م

الحديثة، وأنه لم يظهر قط مؤرخ أقرب منه إلى المؤرخ المثالي".⁽¹⁾ وقد اشتهر رانكه بنزاهته وعدالته ورغبته في الوصول إلى الدقة في تحري المعلومات، وقد تميزت كتاباته برفض الأساليب التي تقوم على التقليد في معالجة الأحداث والحقائق التاريخية، كما أنه تبنى شعاراً هو "دع الحقائق تتكلم عن نفسها"، وإشارة إلى ضرورة اتباع المؤرخين للطريقة العلمية، وما يصاحبها من موضوعية، وهو الأمر الذي يلتزم به الباحث في مبادئ العلوم الطبيعية.⁽²⁾

حاول اتباع رانكه والذين ساروا على نهجه، تطبيق الطريقة العلمية في أساليب البحث والتدوين التاريخي، وذلك من خلال الرجوع إلى الحقائق والمصادر الأولية ونقدها والتحقق منها⁽³⁾، بحيث أصبح المثل الأعلى للمؤرخ عندهم شبيهاً بالمرأة الصافية المجردة التي تنعكس عليها صورة الحوادث دون أن يكون له أي تأثير فيها.⁽⁴⁾

هذه المعطيات التي ذكرناها في كتابات رانكه، تناولت موضوعات شتى تتصل بإيطاليا والدولة العثمانية وأسبانيا والصرب والبابوية والإصلاح الديني وفرنسا وبريطانيا في القرن السابع عشر وغير ذلك.⁽⁵⁾ ومن مؤلفاته "تاريخ الشعوب الرومانية والجرمانية 14-1250م" وقد نشر عام 1824م وكتاب "تاريخ المانيا في عصر الإصلاح".⁽⁶⁾

ولما بلغ المؤرخ رانكه من العمر إحدى وتسعين سنة وعجز عن المطالعة والكتابة أُملي تاريخاً عاماً كان قد تم منه سبعة مجلدات وصل فيها إلى القرن

(1) هرتشو، المصدر السابق، 178.

(2) المصدر نفسه، ص 178.

(2) اللقائي، المصدر السابق، ص ص 53-54.

(4) قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، دار العلم للملايين (بيروت، 1959)، ص 98؛ طه، المصدر السابق، ص 108.

(5) هونشو، المصدر السابق، ص ص 123-124؛ ريان، المصدر السابق، ص 116.

(6) حاطوم وآخرون، المصدر السابق، ص 459؛ سليمان، المدخل إلى دراسة علم التاريخ....ص 188.

الثاني عشر، وأتمت التاريخ المذكور مجموعة من تلاميذه أشهرهم "فايتز"⁽¹⁾ Vaitz وجيز برخت⁽²⁾ Giesebrecht وسييل⁽³⁾ Syble⁽⁴⁾.

بهذه الروح أعاد مؤرخو القرن التاسع عشر كتابة كثير مما كتبه المؤرخون السابقون من التاريخ. وبهذا فقد تغيرت النظرة للتاريخ من مجرد فرع من الأدب إلى علم له استقلالته، فتقدمت دائرة المعرفة التاريخية في دراسة التاريخ وغيروا كثيرا من مفهوم الماضي حتى سمي القرن التاسع عشر بـ (قرن التاريخ)، كما لو كان خلق نوع جديد من التاريخ اعتبر تنويعا لمستحدثات ذلك القرن، واختط منهاجا خاصا لأبحاثه. ومن المانيا انتشر هذا النهج الحديث في معالجة التاريخ في أنحاء أوروبا وأمريكا.⁽⁵⁾

كما تميز القرن التاسع عشر بظاهرة هامة هي جمع المصادر التاريخية ونشرها، فبدأت تظهر مجموعات من الوثائق التاريخية من مصادر متعددة لا حصر لها، فقسمت وفهرست وشجعت الحكومات والهيئات هذا العمل.⁽⁶⁾

(1) مؤرخ الماني بارز إبان القرن التاسع عشر متخصص في تاريخ المانيا. انظر: هرنشو، المصدر السابق، ص124.

(2) مؤرخ الماني كتب تاريخا لالمانيا في العصور الوسطى على النمط العلمي الحديث. انظر: المصدر نفسه، ص124.

(3) مؤرخ الماني يعتبر أكبر تلاميذ رانكه، كتب في تاريخ الثورة الفرنسية وتاريخ المانيا الحديث كتبا عظيمة وقيمة. انظر: المصدر نفسه، ص 124.

(4) المصدر نفسه، ص124.

(5) سليمان، المدخل الى دراسة علم التاريخ.... ص118؛ ريان، المصدر السابق، ص116.

(6) ريان، المصدر السابق، ص117.

1430هـ/2009م

Historical Documentation in Germany from Renaissance to Late Nineteenth Century

Dr. Ayad Ali Yassin*

Abstract

The historical documentation in Germany is an important issue since it presents an early image of the documentation of the political, economic and social aspects of the human history. The researcher deals with this topic in an insightful way.

The importance of this topic stems from the German thinking vigilance in modern times and their great efforts in studying the old German heritage and its emphasis on the human value in accordance with the modern German humanitarian views.

During the period between the Renaissance and the late Nineteenth century, the German historians were well-known for their critical and scrutinizing methods in studying historical documents and checking it against the early sources to show its value and how much they can rely on it in understanding the past events. History certainly is the written experience of the human race and the Germans managed to benefit from this experience across history in all aspects of knowledge.

* Dept. of History/ College of Arts/ University of Mosul.

